الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
جامعة البويرة

معهد اللّغات و الأدب العربي
قسم اللّغة العربيّة وآدابها

الدّراسة اللّغوية عند فرديناند دي سوسير

مذكّرة لنيـــل شهـــادة الليســـانس في اللغة العربية وآدابها

من إعداد:
* ساجية قوباع
* نصيرة تيڤرين

إشراف الأستاذة:
* نوال زلالي

السنة الجامعية:2013-2014

والنتائج التي توصلنا إليها في نهاية هذا البحث هي كالآتي:

-إن الدراسات الغوية القديمة التي بدأت عند الهنود ثم اليونان ثم الرومان هي التي مهدت السبل لظهور اللسانيات الحديثة وجعلتها علما قائما بذاته.

- إن التغير في الإتجاه الذي حدث في بداية القرن 20 هو تحول من اللسانيات التاريخية التي تهدف إلى معرفة تاريخ اللغات إلى ما أصبح يعرف باللسانيات الآنية التي تهدف إلى وصف اللغات وتحليليها كما هي موجودة في نقطة زمنية معينة وخاصة الحاضر.

- تطور اللسانيات في القرن 20 لا يعني بتاتا إن اللسانيات في هذا القرن إكتشاف جديد لا صلة له بالماضي، بل على العكس تماما هناك علاقة بين القرن20 والقرون التي سبقته.

- حقق علم اللسان الحديث مكانة مرموقة بين العلوم والمعارف الإنسانية الحديثة مع العالم فرديناند دي سوسير الذي أسس نظريات جديدة تقوم على تكملة نقائص المناهج السابقة وكانت النتيجة أن توسع الاهتمام باللغة حتى أصبح علما مستقلا بأسلوب علمي موضوعي دقيق .

- يعتبر سوسير الرائد في القرن 20 في اللسانيات بثنائياته المشهورة التي كانت لبنى اللغة، والتي أضحت مبادئ أساسية في اللسانيات العامة .

- جهود العالم فرديناند دي سوسير من أجل بناء نظرية لسانية تهتم بعملية التواصل الغوي المبنية على دورة التخاطب في أية لغة.

- غرض دي سوسير من وضعه للثنائيات كان معالجة اللغات كنظم للتبليغ مستقلة بذاتها في أي وقت معين.

-إن ماقام به دي سوسير هو إعتماده على الدقة العلمية والتجريب هو الذي استطاع أن يمكنه فعلا من إدراك واقع الدراسة اللغوية التي كان يتوقف عندها، الأمر الذي أهله أن يحدد مسار حركية اللسانيات والإجراءات النظرية التي تتحلى بها أثناء اقتحامها للمعارف الأخرى، كما ينبغي الإقرار بما قدمه من رؤى جديدة كان قد تنبأ بها وهو يعالج الظواهر اللغوية .

بالعربية:

1- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط3، الجزائر: 2007، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع.

2- إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دط. الأردن:2007، دار المسيرة للنشر والتوزيع .

3- بوحوش رابح ، اللسانيات وتحليل النصوص، ط1، الأردن:2007، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع.

4- بن زروق نصر الدين، دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، ط1، الجزائر: 2011، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع .

5- جان بيرو، اللسانيات، ترجمة: الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس، دط. الجزائر:2001 ، دار الأفاق للنشر والتوزيع.

6- الطيب به، مبادئ اللسانيات البنيوية، ط1. الجزائر:2001.

7- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ط1. ليبيا: 2004، دار الكتاب الجديدة المتحدة للنشر والتوزيع.

8- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ط1. ليبيا: 2010، دار الجديدة المتحدة للنشر والتوزيع.

9- مختار لزعر وحنفي بن ناصر، اللسانيات منطلقاتها النظرية وتطبيقاتها المنهجية دط.الجزائر: مارس2009، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع.

10- نايف خرما، أضواء على الدراسات، اللغوية المعاصرة ،دط. الكويت: سبتمبر 1978، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

11- نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، دط. الجزائر: 2006، منشورات جامعة باجي مختار.

12- نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ط1، الجزائر:2004 عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

13- عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دط. الجزائر:2002 ، دار هومة.

14- عبده الراجحي، مبادئ علم النفس الحديث، دط. مصر: دت ، دار المعرفة الجامعية.

15- عيسى برهومة، مقدمة في اللسانيات، ط1. الأردن: 2001، دائرة المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع.

16- عبد الرحمان حاج صالح "الدراسة اللغوية في أوروبا من القرن 16 إلى القرن 19ملادي"، الجزائر: 1971، مج1، ج1 ، معهد العلوم الإنسانية والصوتية، مجلة اللسانيات.

17- فرديناند دي سوسيرة، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيفي،ط2. المغرب:2008، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع.

18- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ط1. أبحاث للترجمة للنشر والتوزيع.

19- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات ،ط2. الجزائر2006، دار القصبة للنشر والتوزيع.

بالفرنسية:

20- Ferdinand de Saussure. cour de linguistique .england édition 1994.

فهرس المحتويات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة.. 1

الفصل الأول: المراحل التي مرت بيها الدراسة اللغوية

أولا: مرحلة النحو التقليدي.. 04

ثانيا: مرحلة الفيلولوجيا 07

ثالثا: مرحلة اللسانيات الحديثة.. 11

الفصل الثاني: الدراسة اللغوية عند فرديناند دي سوسير

أولا: التعرف على شخصية فرديناند دي سوسير........................ 16

مولده 16

رحلاته ومؤلفاته 16

وفاته 18

ثانيا: الثنئيات وأثرها في الفكر اللغوي...................................

1- اللغة والكلام.. 19

2- الدال والمدلول... 22

3- الآنية والزمانية.. 25

4- العلاقات التركيبية والترابطية..................................... 28

خاتمة: 33

قائمة المصادر والمراجع.. 34

فهرس الموضوعات.. 35

كلمة شكر

الحمد لله الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل، والشّكر لله الذي أمدّنا الصّحة والصّبر
والعقل لإتمام هذا البحث، وعليه نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا
في إنجاز هذا العمل المتواضع أو أسدى إلينا النصيحة بقول أو فعل.
وفي مقدّمتهم الأستاذة المشرفة "نوال زلالي" التي شجّعتنا على البحث
وذلّلت لنا المصاعب، ولم تبخل علينا بتوجيهاتها القيّمة .
كما نتقدم بالشكر إلى جميع الأساتذة من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية
الذين بذلوا جهدا في سبيل تلقيننا العلم النافع.
دون أن ننسى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيّبة
في سبيل إعداد هذه المذكرة .

إليكم جميعا نقول بارك الله فيكم
وجزآكم الله كلّ خير.

إهداء

إلى من بلغ الرّسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمّة إلى نبيّ الرّحمة ونور العالمين
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى اللذين قال فيهما الرّحمان :<< ۞ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) سورة الإسراء**

إلى وردة لا نجدها في أيّ بستان لفح عطرها فأنفس قلبي الظمآن

إلى منبع الدّفء والحنان: **أمّي** .

إلى نسمة صباحي وأمسياتي ونورا أضاء دربي وحياتي إلى من أوقد شموع أمالي : **أبي**.

أطال الله في عمركما، من دونكما لا أكون أبدا، أمي، أبي.

إلى كل إخوتي الأعزاء على قلبي :جمال، رفيق، خالد، رضا،نبيل ،عزيز.

إلى كل أخواتي: رشيدة، حنان، حياة، فوزية، سهيلة.

إلى كل زوجات إخوتي: سامية، سعيدة.

إلى الكتاكيت الصغار التي أنارت البيت: شهرة، منير،عماد.

إلى أختي رحمها الله *شهيرة*اللهم اجعل لها الجنة موعدا ترافق فيها الحبيب محمد

إلى من ساعدني في نجاح هذا العمل إلى جميع أقربائي من البعيد والقريب

إلى كل الصديقات العزيزات على قلبي.

إلى كل من عرفني وأحبني

اهدي ثمرة جهدي

ساجية

إهداء

وبعد أن طويت سهر الليالي وتعبت الأيام (بحمد الله وفضله).

ها أنا أقف اليوم لأقطف إحدى ثمرات نجاحي وأهدي هذه الثمرة

إلى ينبوع العطف والحنان إلى أجمل ما نطق به اللسان.

إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها وجعلتني عاجزة عن وصفها

إلى أغلى كيان * أمي الحبيبة *

إلى رمز المهابة والوقار الذي غمرني بالعطف وأشعرني بالأمان وتركني أسير في دروب العلم والأمان.

إلى الذي منحني إسما أفتخر به طول هذا الزمان *أبي العزيز *

إلى الذين شاركوني بطن أمي إلى أعز ما أملك في هذا الوجود.

إخوتي : خالد، فيصل، خيرالدين.

إلى اللواتي لا أملك سواهن شقيقات روحي: سعيدة ،الزهرة ، جميلة ،لامية.

إلى آخر ما تبقى لي من أجدادي "جدتي يمينة" حفظها الله وأطال في عمرها.

إلى من عشت معهن أروع أيام حياتي رفيقات دربي اللواتي شاركنني نفس الأمل: فهيمة هودة، حبيبة، خديجة،أحلام.

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي و لم تسعهم مذكرتي.

نصيرة

مقدمة:

إن الحديث عن اللغة بدأ في عصور قديمة تعود جذوروها إلى أعماق التاريخ ولكن كان ذلك في شكل تأملات فلسفية حول نشأة اللغة والبحث عن أصل اللغات جميعا وأسبقية اللغة والفكر ...الخ، أما الدراسات اللغوية التي تبنت مناهج علمية فقد ظهرت في العالم الغربي في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، على يد باحثين لسانيين مميزين من بينهم السويسري فرديناند دي سوسير، ويلاحظ المتتبع لتطور الفكر اللغوي أن هناك مسائل عالجها الأوائل بطريقة وصفية موضوعية واستفاد منها علماء اللغة في العصر الحديث.

وتكمن أهمية هذا الموضوع –الدراسة اللغوية عند فرديناند دي سوسير في التعرف على أهم المراحل التي مرّ بها الدرس اللغوي طيلة مسيرة تشكله، والتعمق في أهم المنجزات اللسانية إلي شيّدها عباقرة من اللسانيين الغربيين، بالإضافة إلى ذلك مساهمته في تبسيط بعض المفاهيم اللسانية الحديثة وجعلها في متناول الدارسين.

وقد تجمعت لدينا أسباب عديدة جعلتنا نختار هذا الموضوع من بينها:

- علاقة هذا الموضوع بالتخصص الذي ندرسه.
- الرغبة الشخصية في الاطلاع والتعمق في هذا الموضوع.
- التعرف على ما أتى به اللساني الشهير فرديناند دي سوسير، وما الذي جعله يلقب بأب اللسانيات الحديثة .

لقد كان الباحث اللساني فرديناند دي سوسير أثر كبير في المجال اللساني الحديث، وهذا ما جعله يحض باهتمام الدارسين في العصر الحديث وهو ما دفعنا لطرح التساؤلات التالية:

هل ما نادى به هذا الباحث اللغوي لم يكن معروفا من قبل في القرن العشرين؟ وما هي الآراء والأفكار الجديدة التي جاء بها هذا اللساني الشهير؟ وكيف تأثر الفكر اللغوي بأفكاره هذه؟

ولمناقشة هذه هذه التساؤلات المطروحة ومحاولة الوصول إلى نتائج تفسيرية تزيد الأمر وضوحا اعتمدنا على الخطة التالية:

مقدمة وفصلين وخاتمة.

– عنون الفصل الأول بـــ: المراحل التي مرت بها الدراسة اللغوية، وعرضنا فيه ثلاث مباحث، المبحث الأول تناولنا فيه مرحلة النحو التقليدي، أما الثاني فقد تضمن مرحلة الفيلولوجيا، والثالث كان حول مرحلة اللسانيات الحديثة.

– والفصل الثاني عنون بـــ: الدراسة اللغوية عند فرديناند دي سوسير، وعرضنا فيه مبحثين، المبحث الأول منه خصصناه للتعرف على شخصية فرديناند دي سوسير، أما المبحث الثاني فتحدثنا فيه عن الثنائيات السوسيرية وأثرها في الفكر الغوي، وفي الخاتمة درجنا أهم النتائج التي توصلنا إليها في نهاية البحث. والمنهج الذي يتناسب مع هذا الموضوع واعتمدناه في انجاز هذا البحث هو النهج الوصفي التحليلي.

واتخذنا بعض المصادر والمراجع كمعين لنا في هذا البحث منها: الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام. وخولة طالب الإبراهيمي ،مبادئ في اللسانيات. وما كنا لنصل إلى ما وصلنا إليه دون عناء وعقبات ،فقد واجهتنا الكثير من الصعوبات منها:

– ضيق الوقت المحدد لانجاز هذا البحث.

ورغم كل هذه الصعوبات فقد تم هذا البحث بتوفيق من الله فإن أصبنا فهو مبتغانا وأملنا في إفادة الغير.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نقدم جزيل الشكر وفائق التقدير والإحترام إلى أستاذتنا المشرفة: نوال زلالي حفظها الله وأطال في عمرها، دون أن ننسى بعض الأساتذة الذين ساعدونا سواء من قريب أو من بعيد ومن بينهم: الأستاذ رشيد عزي والأستاذ فرحات بلولي ..الخ.

الفصل الثاني

الدراسة اللغوية عند فرديناند دي سوسير

المبحث الأول : التعرف على شخصية فرديناند دي سوسير.

1- مولده.

2- رحلاته و مؤلفاته.

3-وفاته.

المبحث الثاني : الثنائيات و أثرها في الفكر اللغوي.

1- اللغة و الكلام.

2- الدال و المدلول.

3- الآنية و الزمانية.

4- العلاقات التركيبية و الترابطية.

إن اللغة هي المحور الذي تدور حوله جميع الدراسات الإنسانية وبعض الدراسات الطبيعية والتطبيقية أيضا، فاللغة البشرية ظاهرة طبيعية ذات قوانين وبنية معينة وهي في تطور مستمر، لذلك فإن دراسة تطورها هذا يشكل جانبا هاما من اللسانيات العامة، وهذه الدراسة لم يتناولها الأوربيون المعاصرون فحسب، وإنما أجيال كثيرة من الهنود واليونانيون، وقد مر الدرس اللساني واللغوي في مسيرة تشكله الطويلة بمراحل ثلاث متتابعة وهي تتمثل فيما يلي:

I- مرحلة النحو التقليدي:

إن الفضول الكبير عند الناس لمعرفة أصل اللغة التي يستعملونها أنتج وبعدد كبير عند الشعوب (المسماة بالشعبية)، التي كانت تصوراتهم عن اللغة تتفق وطبيعة معتقداتهم ونظرتهم إلى الحياة. وهذا ما ينطبق عن العبريين الذين كانوا يظنون بأن لغتهم العبرية وهي لغة الوحي (التوراة) تمثل في حالتها القديمة اللغة الأصلية للبشرية وبالتالي فهي أم اللغات وأشرفها ومنها انحدرت كل اللغات المعروفة.

"إن خطر هذه الفكرة محدود إذا نظرنا إليها كنتيجة لسانية مستندة على نص التكوين الخاص ببابل، التي تعود إلى الإعتقاد الديني المتمثل في الأصل المشترك غير أنها تصبح خطيرة إذا حاولنا نسب اللغات الحديثة بصفة دقيقة إلى العبرية وهذا ما فعله إ.قيشار في مؤلفه: l’harmonie étymologique de langue sceudues de l'hebraique

ويعود الفضل إلى لايبنز (Leibniz) في التصدي القوي لهذه النظرية ولكل الجدلات من هذا النوع"[1]. ورأينا ومع ذلك إلى وقتنا الحالي بعض المحاولات لجعل هذه اللغة أو تلك أصل لكل اللغات، فاهتمام العلماء باللغة لم ينقطع وبخاصة في تلك المجتمعات التي كان للغتها علاقة مباشرة بالدين كما كان الحال بالنسبة للغة السنسكريتية في الهند."فهذه اللغة تمثل اللغة الهندية القديمة وهي تنقسم إلى قسمين: اللغة السنسكريتية الفيدية أو السنسكريتية القديمة، واللغة السنسكريتية التقليدية وتنقسم السنسكريتية القديمة بدورها إلى قسمين:

---

(1) جان بيرو، اللسانيات، تر: الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس، دط. الجزائر: 2001، دار الأفاق للنشر والتوزيع، ص67.

1- **اللغة الدينية أو لغة الترانم:** وهي لغة الشعائر والطقوس التي كانت تقام في المعابد الهندية القديمة .

2- **البرهمانية:** التي حرّر بها كتاب الفيدا (وتعني المعرفة) وهي اللغة التي كان يتكلم بها مابين 1800 و500 ق.م .

أما اللغة السنسكريتية غير الدينية فلا يعرف عليها أيٌّ شيء ولم يصل إلينا منها أي نص"[1]. فقد درس الهنود لغتهم السنسكريتية بدافع ديني واضح وهو تفسير كتابهم المقدس "الفيدا" الذي ظهر حوالي 1200–1000 ق.م، وهو يمثل عقيدة وشريعة البرهمانية.

وبطبيعة الحال" ليس لدينا دليل على إهتمام القدماء باللغة قبل أن تخترع الكتابة وتستخدم لتدوين حصيلة تلك الإهتمامات، فعلى الرغم من أنه كانت هناك إشارات في النقوش الهيروغلوفية والسومرية والأشورية تدل على وجود المعاجم والمترجمين إلا أنه لم يكن لدينا نتاج لغوي هام قبل القرن الرابع الميلادي، فقد إكتشف العلماء الأوروبيون كتابا لقواعد اللغة السنسكريتية ألفه بانيني "Panini" في الهند في القرن الرابع عشر الميلادي بهدف ديني واضح، ووصف فيه النظام الصوتي لتلك اللغة (السنسكريتية) وتركيبها الصرفي والنحوي وصفًا دقيقا للغاية"[2]. وبهذا كانت بداية النحو مع بانيني حين وضع النحو السنسكريتي في (300 ق.م).

لكن البداية الحقيقية للإهتمام باللغة ومشاكلها كان مع فلاسفة اليونان والنحاة السنسكريتين فقد طرح مشكل أصل اللغة في القديم من طرف الفلاسفة الإغريق (اليونان)"الذين اعترفوا وهم يناقشون مسألة العلاقات بين المفاهيم والمفردات التي تدل عليها بوجود إما علاقة طبيعية بين الإسم والشيء وإما إتفاق أو صدفة"[3]. حيث كانت المسألة الهامة التي أثارها الإغريق وتركت بصماتها على الدراسات اللغوية اللاحقة حتى عصرنا الحاضر تتعلق بطبيعة اللغة ونشأتها، فقد رأى بعضهم ومنهم

(1) مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ط1. ليبيا:2010م، دار الكتاب الجديدة المتحدة للنشر والتوزيع ص143.

(2) نايف خرمة، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، دط. الكويت: سبتمبر، 1978 م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص143.

(3) جان بيرو، اللسانيات، ص96.

أفلاطون أن اللغة ظاهرة طبيعية، وأن الكلمات وأصواتها جزء لا يتجزأ من المعنى، بينما يرى أرسطو أن اللغة ظاهرة إجتماعية وأن أصواتها رموزا إصطلاحية لا علاقة طبيعية أو مباشرة لها بالمعاني، وقد نشأ عن هذا الاختلاف نظريات متعددة عن أصل اللغات جميعا منها: "أن اللغة توقيف ووحي من الله ومنها أن أصل اللغات جميعا يرجع إلى محاكاة أصوات الطبيعة أو أصوات الحيوانات ....، ووصل الأمر بالبعض بأن يقول أن الصوت بحدّ ذاته قيمة تعبيرية"[(1)].

ويبدأ العمل الأول الذي حققه اليونان للغة عندما استنبطوا نظاما أبجديا لكتابة اللغة اليونانية وهذا النظام كان قد نشأ بشكل مستقل عن صورة معدلة للكتابة الفينيقية، فلم يدرس القدماء اليونان سوى لغتهم ولكنهم سلموا بأن بنية لغتهم تجسم الصورة العامة للتفكير الإنساني، فكانت ملاحظاتهم النحوية محدودة بمحيط لغتهم ومقرّرة بصورة فلسفية، "والصفة الغالبة على النحو اليوناني هي الكشف على قواعد تميز صواب الكلام من خطئه ثم فرض هذه القواعد، فالنحو اليوناني بهذا الاعتبار هو نحو تعليمي منطقي"[(2)].فعندما وضع الإغريق قواعد لغتهم فإنهم لم يصفوا قواعد اللغة التي كان يستعملها الناس في عصرهم ، بل وضعوا قواعد أو معايير لما يجب أن تقوم عليه اللغة، و"هذه هي ما تسمى بالقواعد المعيارية التي لم تتغير بتعاقب القرون بحيث أصبحت في النهاية تشير إلى لغة غير موجودة ولا مستعملة إطلاقا"[(3)]

فهذه القواعد المعيارية لا تعبأ إلا بما يسمى بالقاعدة المثلى أو اللغة الراقية الشريفة التي يجب أن تتخذ من الكتاب والمبدعين والمتكلمين الرسميين، فالنحو في هذه المرحلة كان مرتبط بمفاهيم معيارية ولاهوتية ومقيد بقوانين ميتافيزيقية ولكن بحلول القرن الثامن عشر وبمجيء نحو بوروايال Grammaire De Port Royal ازدهر النحو شيئاَ فشيئا في فرنسا، فنحو بوروايال يعتبر أفضل علم لغوي يمثل هذه المرحلة بدون منازع، "لأن القواعد البوروايالية أسست طبقا لتحليل عقلاني للغة

---

(1) نايف خرمة، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص79.

(2) عيسى برهومة، مقدمة في اللسانيات، ط1. عمان الأردن:2005 م، دائرة المكتب الوطنية للنشر والتوزيع ص28.

(3) نايف خرمة، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص80.

وليس وفق النظرية اللاهوتية التقليدية ولا حسب المفهوم المعياري الذي كان يعتبر اللاتينية على الرغم من أنها كانت آخذة في التفكيك والتهميش النموذج أو المثال المطلق الذي لا يقبل المناقشة"[1]، فنحاة بوروايال "نظروا إلى الكلام والجملة لا كنواة لغوية تدل على معنى وتفيد فائدة بل على أنه حكم وأن محور هذا الحكم هو "الكلمة" وهذا مبني على أن الكلام عماده الفكر وأن جميع أحواله هي أحوال الفكر إن لم تكن أحواله أحيانا مطابقة لما تقتضيه قوانين الفكر"[2].

وذلك لأن الكلام عندهم يمثل المرآة الصادقة للفكر والفكر في نظرهم ينحصر في المنطق وحده، وكانت غايتهم هي الخروج إلى نحو عام ببنائه على تلك المفاهيم العامة التي استخرجها أرسطو من مجاري الغة الخاصة، فالتفكير اللغوي الأوروبي لهذه الفترة لم يتخلص من تلك المفاهيم التي ظلت تسود فضاءات درسه اللغوي. وبقيت تتسم بمعالجة اللغة من خلال التصورات التي تربط اللغة بالتفكير.

وممن اشتهروا بالبحث في هذا النحو نجد: دومارسي (Dumarsais) وبوزي (Bauzèe) ودوميرج (Domergeue)، كما ظهر في هذا العصر عالمان من نوابغ الفكر الفلسفي واللغوي وهما: كوندياك (Condillac) وجيمس هاريس (Jemese Haris).

ورغم ما اتسم به هذا النحو التقليدي من معيارية ونسبية وميتافيزقية فإنه يبقى الإنطلاقة الحقيقية للدراسات اللغوية، ومنه أُسّست باقي البحوث والدراسات اللغوية الأخرى.

II- مرحلة الفيلولوجيا (النحو المقارن).

بعد إكتشاف اللغة السنسكريتية في منتصف القرن الثامن عشر تغيرت الدراسة اللغوية من دراسة نحوية معيارية تقليدية إلى دراسة نحوية مقارنة، إلا أن هذا التغيير ليس بالأمر الجديد، وذلك لأن مقارنة اللغات المختلفة بعضها ببعض طريقة قديمة قدم دراسة اللغات نفسها، وهذا أمر لا مفر منه طالما أن أي إلمام بلغه أو أكثر

---

(1) عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، د ط. الجزائر: 2002 م، دار هومة، ص31.

(2) عبد الرحمن حاج صالح "الدراسة اللغوية في أوساط أوروبا من ق 16 إلى ق 19 م"، الجزائر: 1971 مج1، ج1، معهد العلوم اللسانية والصوتية، مجلة اللسانيات، ص65.

بخلاف لغة الأم إنما يثير الرغبة في مقارنة أجزاء أو نواحي مختلفة في هذه اللغات، "فالبعض يعدها بمثابة مرحلة واحدة يطلق عليها مصطلح اللسانيات المقارنة أو النحو المقارن أو الفيلولوجيا المقارنة، والبعض الأخر يقسمها إلى فترتين متميزتين وهما: مرحلة النحو المقارن ومرحلة النحو التاريخي، وهناك من يعد هذه الفترة بأسرها مرحلة واحدة تنقسم إلى فترتين واحدة تاريخية وأخرى مقارنة"[1]. وتستعمل عبارة النحو المقارن عادة للإشارة إلى تطور الدراسات اللغوية خلال القرنيين 18 و19، وقد ذهب الفرنسي مييه (Millieh) إلى القول بأن ما يسمى نحوًا مقارنًا ما هو إلا شكل معين من اللسانيات التاريخية، ومهما يكن من أمر فإن ثمة عوامل أساسية ساهمت في الانتقال من المرحلة التقليدية إلى المرحلة المقارنة، ولكن يبقى أهم هذه العوامل هو اكتشاف علاقة القرابة بين اللغة السنسكريتية واللغتين اللاتينية واليونانية.

حيث يكاد يتفق جل الباحثين اللسانيين أن بداية هذه المرحلة كانت عندما إكتشف الأوروبيين تلك العلاقات الموجودة بين اللغات القديمة وهي(السنسكريتية اليونانية، الإغريقية) ومن ثمة أضحى البحث اللساني في هذه المرحلة غرضه هو البحث عن الصفات المشتركة بين هذه اللغات الثلاث سواء ما تعلق الأمر بالجانب الصوتي أم التركيبي أم الدلالي، "ويهدف هذا العلم إلى مقارنة لغتين أو أكثر على المستوى المفرداتي والنحوي والصوتي بغية الوصول إلى الأصول المشتركة وإعادة بناء اللغة الأولى في الأسر الواحدة تصنّف جميع اللغات كما تصنف الطيور والحيوانات".[2]

وخلاصة القول أن إكتشاف العلاقة بين اللغة السنسكريتية واللغتين الإغريقية واللاتينية يعد منعطفا جديدا في تاريخ الدراسات اللغوية، باعتباره حدث هام ساهم في بعث روح جديدة في البحث اللغوي، فهو يعد نقطة تحول هامة في الفكر اللغوي، وقد جاء هذا الاكتشاف الهام بالتأكيد بعد معرفة الدارسين إلى اللغة السنسكريتية وأهميتها

---

(1) مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص141 .

(2) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط3. الجزائر: مارس2007، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، ص64.

التاريخية بحكم أنها حملت تراث إحدى قدم الحضارات الإنسانية وهي الحضارة الهندية التي سبقت نظيرتها الأوروبية في المجال اللغوي على الأقل.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحثون "كانوا قبل اكتشاف قرابة اللغة السنسكريتية باللغتين اللاتينية والإغريقية يدركون حدسيا أن ثمة علاقة ما تجمع بين بعض الوحدات في اللغتين اللاتينية والإغريقية، لكن تعاملهم الحدسي مع مظاهر القرابة بين هذه اللغات جعلهم لا يتوصلون إلى نتيجة واضحة تفسر طبيعة هذه العلاقة"[(2)]. وبمعزل عن حدث اكتشاف اللغة السنسكريتية بحدّ ذاته كانت فكرة المقارنة كمبدأ بدأت تأخذ طريقها إلى الأوساط الفكرية مع دعوة الفيلسوف لايبنز إلى الاهتمام باللغات السالفة في إطار التصور الموسوعي للمعرفة الإنسانية، "وقد أخذت المقارنة خطواتها الأولى نحو الإنتشار مع وولف (wollf)، في إطار ما سُمِيَّ بالنقد المقارن للنصوص القديمة، فهو لم يكن يدرس اللغة في ذاتها ولذاتها وإنما لفهم النصوص القديمة، وقد كان النقد المقارن أو ما أصبح يعرف بالفيلولوجيا اليوم يدرس لغة مؤلف ما للكشف عن أسرارها الأدبية ولفهم أعمق لتكوين أعماله، وواضح كما هو الشأن في كل عمل فيلولوجي أن الاهتمام اللغوي كان منصبا على اللغة المكتوبة دون المنطوقة"[(2)]. وقد تم اكتشاف العلاقة القوية والتشابه الواضح بين الأشكال اللغوية في اللغة السنسكريتية واللغتين اليونانية واللاتينية على يد وليام جونز(William Jones عام 1786، "وهو العام الذي شهد أكبر حدث لغوي ففيه قرأ القاضي بدار القضاء البريطاني في الهند بحثه المشهور أمام الجمعية الأسيوية الملكية في كالكتا (بالهند)، وفيه أكد ببراهين لا تقبل الشك العلاقة المباشرة بين اللغة السنسكريتية والغات اليونانية واللاتينية والجرمانية"[(3)]. وفيما بعد تكاثرت البحوث والدراسات التي حاولت أن تكشف أوجه القرابة بين اللغة السنسكريتية واللغتين اليونانية واللاتينية وغيرها من اللغات الأوروبية، ففي العقود الأولى من القرن التاسع عشر كانت الدراسات المقارنة المكثفة والناجحة هي السمة المميزة للبحث اللساني

[(1)] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 146.

[(2)] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص144، 145.

[(3)] عبده الراجحي، مبادئ علم اللسان الحديث، د ط. مصر: د ت، دار المعرفة الجامعية، ص39.

"وانصبت بحوث علماء الدراسة المقارنة في هذه الحقبة على الأسرة اللغوية الهندية الأوروبية، وكانوا أقل اهتماما بروابط القرابة في المجموعات اللغوية الأخرى (السامية، الحامية ... الخ) على الرغم من أن هذه اللغات كانت جد معروفة في ذلك الوقت"[1].

وقد بدأت هذه الدراسات المقارنة أول ما بدأت مع راموس راسك (Ramos Rask) ، فهو يعد من جيل المقارنين الأوائل اللذين ساهموا في وضع أسس لسانيات القرن التاسع عشر ميلادي، وذلك لأنه "قام بتقديم أول عرض مفصل في الدراسات المقارنة إلى أكاديمية العلوم الدانيماركية عام 1814 بعنوان:« بحث في أصل النرويجية القديمة أو الاسلندية"[2]. وقد نشر هذا البحث فيما بعد في كتاب بعنوان: «النحو الاسلندي القديمّ». الذي وضح فيه راسك قواعد المقارنة اللسانية التي يجب أن تراعي:

1- المعايير النحوية وعدم الإكتفاء بمجرد التشابه اللفظي .

2- الاستعانة بالكلمات الأصلية في اللغات المدروسة، وذلك أن حضور الكلمات في معجم لغتين أو أكثر يشير إلى وجود صلة قرابة بشكل أو بأخر"[3].

وهكذا نشأت المقارنة بين اللغات تدريجيا وبدأ المنهج المقارن ينموا ويتطور إلى أن اكتمل مع فرانزبوب (Franz Bopp) ، وجاكوب جريم (Gacob Grimm) فريديريخ شليجل (Frederick Von Schlegel) وغيرهم حيث يعد هذا الأخير "أول من استعمل مصطلح النحو المقارن حوالي سنة 1808م في مؤلفه عن مقالة حول لغة الهنود الحمر وفلسفتهم"[4]. وقد بين شليجل في مؤلفه هذا التشابه القائم بين اللغات الأوروبية واللغة السنسكريتية مقدما لائحة طويلة بمجموع الألفاظ السنسكريتية ومقابلتها في اللغات الفارسية والألمانية والإغريقية واللاتينية وغيرها من اللغات المتقاربة معها، لكن غياب صياغة شاملة ودقيقة للقواعد العامة المتحكمة

---

[1] عيسى برهومة، مقدمة في اللسانيات، ص71.

[2] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص87.

[3] نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، د ط. الجزائر:2006، منشورات جامعية باجي مختار، ص76.

[4] مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص146.

في هذه التقابلات التي تجمع بين الأصوات والصيغ النحوية في هذه اللغات المتقاربة حال دون إعتبار شليجل مؤسسا للمنهج المقارن، هو ما سيقوم به جاكوب جريم وفرانزبوب بعده، "حيث تجدر الإشارة إلى أن قيام المقارنة كمنهج علمي مستقل وواضح المعالم ثم في نظر جل مؤرخي اللسانيات مع فرانزبوب سنة 1816 في كتابه الشهير «نظام تصريف السنسكريتية ومقارنته بالأنظمة الصرفية في اللغات اليونانية والفارسية والجرمانية» الذي حلل فيه فرانزبوب لأول مرة في تاريخ الفكر اليوناني عدة لغات من حيث الأصوات والصيغ على أساس المقارنة بينهما، وفي سنة 1833 نشر بوب كتابه الضخم المعروف «النحو المقارن للغات الهندو أوروبية»"[1]. وبهذا العمل اعتبر بوب رائد المنهج المقارن، وكان هدفه الوقوف على أصل الصيغ النحوية في العديد من اللغات الأوروبية من خلال مقارنتها بنظيرتها في اللغة السنسكريتية، وتكمن أهمية ما قام به بوب أنه أثبت منهجيا ونظريا الملاحظات الحدسية الواردة عند وليام جونز وغيره. وبصرف النظر عن كل ما قيل عن هذه الدراسات المقارنة بأنها مرتبطة بالدراسات التاريخية والمعيارية إلا أنها تشكل اليوم جزءا هاما من علم اللسانيات الحديث.

III- مرحلة اللسانيات الحديثة .

كانت الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر مركزة إلى حد كبير على الدراسة التاريخية للغات الهندوأوربية، لكن سرعان ما تخلى علماء اللغة عن هذه النظرة مع نهاية هذا القرن، وتركوا اللسانيات في مأزق حقيقي ومتاهة لا مثيل لها ولكن بقيت الدراسات اللسانية في هذا العصر مرتبطة مع بدايتها الأولى للدراسات المقارنة من خلال "الإكتشاف الموجود للعلاقة القائمة بين اللغات الأوروبية التي كانت مركزة إلى حد كبير على الدراسة التاريخية، فقد كان الفكر العلمي المسيطر على الدراسات اللغوية ينحصر في أن الدراسات المقارنة للغات هي المفتاح لمعرفة التاريخ المبكر لها"[2]. فنحن غالبا ما نصف هذا القرن بأنه عصر لسانيات تاريخية وعصر مقارنات وهذه الصفة حقيقة ثابتة فعلا، بل يشمل تطلعات إلى طرق

---

(1) مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص150.

(2) عبده الراجحي، مبادئ علم اللسان الحديث، ص41.

ووسائل أخرى لمعالجة اللغة تختلف اختلافا جذريا لما عُهِدَ طوال وقت طويل من الدراسات اللغوية، فهذا القرن تولدت عن أقطابه اللسانيين ملاحظة تدل على مدى إدراكهم لما سُمِيَّ أو طبق بالطريقة الوصفية أو السانكرونية، حيث نجد هذه الملامح بالإهتمام لدى همبولدت (Humbldt) من خلال تفكيره النظري حول اللغة، بحث أوضح بقوة الجانب التطوري للغة معتبرا أن كل لغة كلية متماسكة وبكيفية إدراكها للبعد الوصفي أن مفهوم شكل الذي تلهج اللسانيات حتى الوقت الحاضر يعود إليه.

وقد بين روبنز(Robinz) جانبا من ذلك بقوله"«يجب أن توصف اللغة تزامنيا بوصفها نظاما من العناصر المترابطة والمصطلحات اللغوية ويجب ان تعرف بالنسبة لبعضها البعض نظاما بشكل مطلق» وهذه هي النظرة التي صرّح عنها بقوله: أن اللغة عبارة عن شكل وليس مادة"[1].

تعد هذه المرحلة من أزهى مراحل الدراسات التاريخية المقارنة وعلى يد لغوييها ودروسها، تعلم دي سوسير وأخذ مبادئه اللغوية الأولى ونظرياتها، وكان له دور مهم في إثرائها، لكن بعدما تمكن من استيعاب توجهاتها لم يرضه ما كانت تنتهي إليه من نتائج وما كانت تعمل به من مبادئ منهجية، لأن هذا المنهج (التاريخي)" بات غير قادر على تحديد طبيعة الأشياء والظواهر، فهو يقول لك كيف كانت تلك الظاهرة وذلك العنصر في فترة ما، وكيف أصبح في فترة لاحقة، ولكنه لا يبين حقيقتها ولا صفاتها وآلية حركاتها (وظيفتها). ورأى بذلك دي سوسير أن يقدم منهجا لسانيا بديلا فتفتحت نظراته في درس اللغة وتحديد معالم هذه الأفكار اللسانية الجديدة لنظام منسجم الأطراف جعلنا نعجب لقدرته النفسية في توضيح المفاهيم والتمثيل لها والتوفيق بين المتناقضات، هذا إضافة إلى تأثره باللساني الأمريكي وليام ويتني (Wiliam whithbeg) الذي نادى بفكرة وجود نظام باطني يمثل الصورة أو الصيغة الناتجة عن التركيب والذي يخالف مجموعة العناصر الجزئية"[2]. وهي الفكرة التي كانت منطلقا لسوسير ليعرض نظامه باعتباره كيان مبني على التناسق ويفرض على عناصر المجموعة الخضوع لعلاقاته.

---

[1] عيسى برهومة، مقدمة في اللسانيات، ص 144.

[2] نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية، ص85.

ويتمثل إسهامه الجديد هذا في قدرته على "إكتشاف العلاقات المفهومية والمنهجية بين تلك الأفكار وصياغتها وتوجهاتها إلاّ بربط بعضها ببعض وإدراك أن بعضها ينبثق من بعض ويوضح غوامضها ويُنَسِّقُ فيما بينها على درجة عالية من الشّمولية والدّقة والوضوح".[1]

هذا المنهج الذي يتناول بالدرس العلمي كل الظواهر اللغوية بعد تحديد مجالها وزمانها وبيئتها، حيث لم يكن معمولا به في بدايته الأولى مقارنة بالمنهج التاريخي حتى جاء دي سوسير وفرق تفريقا حاسما بين الدارسات الوصفية والدراسات التاريخية وأكد من خلال مقارنته هذه أن المنهج الوصفي الذي يعنى بدراسة اللغة في فترة زمنية محددة هو الأصلح لدراسة اللغة والإحاطة بها من كل جوانبها لأنه يفرق بين كل ما هو علمي وما هو تعليمي. ومن هنا بدأت بوادر اللسانيات الحديثة من خلال ما قام به دي سوسير من أعمال لغوية، بحيث يعتبر رائد التغيير في اتجاهات القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين لأول مرة في إسهاماته بعمل هام في اللسانيات الهندوأوربية المقارنة، والملاحظ أن بوادر اللسانيات الوصفية ليس بالحدث الجديد جذريا في نهاية القرن التاسع عشر مادام كلا من فرانزبوب وسواهم قد أشاروا بجلاء إلى هذه النزعة الجديدة التي ينبغي أن تطبق على معالجة اللغة دون إبطال المنهج التاريخي "فلم يكن دي سوسير معارضا للمنهج التاريخي في دراسة اللغة بل يشهد بأنه أمضى كل حياته تقريبا في دراسة اللغات وتطورها معتمدا على هذا المنهج، ولكنه رأى أن اللغويين كثيرا ما يخلطون بين دراسة بنية اللغة في مرحلة زمنية معينة ودراسة تاريخ تلك اللغة وتطورها".[2]

وبهذا زال المنهج التاريخي بعد مناداة دي سوسير إلى الفصل بين الدراسات التاريخية والدراسات التزامنية، حيث إنحصر اهتمام دي سوسير على مجموعة من اللغات واغلبها لغات أوروبا المعروفة، ومن هنا يمكن تحديد أفكار وآراء دي سوسير تحت ثلاث موضوعات لاهتمامه بالدراسات اللغوية.

---

[1] الطيب دبه، مبادىء اللسانيات النبيوية، ط1. الجزائر: 2001م، دار القصبة للنشر والتوزيع، ص62.

[2] محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ط1. ليبيا: 2004م، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ص65.

- "تحديد بوضوح ما افترضه أو ما أهمله اللغويين المبكرون للبعدين الأساسين اللازمين للدراسة اللغوية وهما التزامن: وفيه تعالج اللغات كنظم للتواصل مستقلة بذاتها في أي وقتٍ معين، والتاريخي: تعالج فيه التغييرات التي تطرأ على اللغة لمعالجة تاريخية.

وكان من أهم ما حققه دي سوسير هو تمييز هذين البعدين في علم اللسانيات المحور التزامني أو الوصفي، والمحور التاريخي، إذ لكل منهما طرقه الخاصة ومبادئه وأنّ كلا منهما ضروري لأي منهج لغوي دراسي أو تعميمي.

- فرّق بين كفاءة المتكلم اللغوية والظاهرة الحقيقية أو معلومات اللسانيات المنطوقة بأنها (اللسان) و(الكلام)، حيث أن الكلام يشكل المادة التي في متناول اليد مباشرة، فإن الهدف الصحيح للعلم اللغوي هو لسان كل مجتمع والمفردات التي رسخت في كل فرد بترقيته في المجتمع، فعلى أساسها يتكلم ويفهم لغته.

- أوضح دي سوسير أن أي لسان يجب تصوره ووصفه تزامنيا كنظام لعناصر مترابطة بعناصر معجمية وجراماتيكية وفنولوجية، وهذا ما عبّر عنه بأن اللسان شكل وليس مادة".[1]

إن ما قدمه دي سوسير كان بمثابة ثورة لسانية على المناهج السابقة مثل (الدراسة التاريخية والنحو المقارن والنحو المعياري) فقد استطاع أن يضع منها منهجا جديدا كان له تأثير كبير في الدراسات اللسانية اللاحقة، فلقد أثبت في اللسانيات الحديثة عددا من الحقائق صار الكثير منها اليوم من المسلمات، واكتسبت أهميتها لا من أجل صحتها فحسب، بل لكثرة ما تفرع منها من مبادئ استفاد منها الباحثون في شتى الميادين لما لها من أثر عميق في تغيير نظرتها إلى اللغة ووظيفتها على الفرد.

وسنكتفي بالحديث عن هذه المرحلة إلى هذا الحد وذلك لأننا سنتطرق إليها بالتفصيل في الفصل الثاني.

---

[1] عبده الراجحي، مبادئ علم اللسان الحديث، ص 45.

الفصل الثاني

الدراسة اللغوية عند فرديناند دي سوسير

المبحث الأول : التعرف على شخصية فرديناند دي سوسير.

1- مولده.
2- رحلاته و مؤلفاته.
3-وفاته.

المبحث الثاني : الثنائيات و أثرها في الفكر اللغوي.

1- اللغة و الكلام.
2- الدال و المدلول.
3- الآنية و الزمانية.
4- العلاقات التركيبية و الترابطية.

التّعرف على شخصيّة فرديناند دي سوسير:

فرديناند دي سوسير شخصية باهرة عاشت حياة هادئة خالية من الأحداث المهمة إذ لم يصدف سوسير أن كان لديه مغامرات شخصية مثيرة.

1- مولده:

ولد فرديناند دي سوسير في جنيف بسويسرا في 17 نوفمبر 1857، وقد انحدر من عائلة فرنسية عريقة إشتهرت بالعلم والمعرفة وهاجرت خلا الحروب الدينية الفرنسية في أواخر القرن 16 م إلى سويسرا، وشاءت الأقدار أن يولد هذا الرجل بعد عام واحد من مولد سيجموند فرويد مؤسس علم النفس الحديث، وقبل عام واحد من مولد إميل دوركايم مؤسس علم الاجتماع الحديث فكان لهذا الثلاثي شأن كبير على المفاهيم القديمة والمناهج الكلاسيكية وقد إهتم فرديناند دي سوسير في بداية دراسته بالعلوم الرياضية إلى جانب إهتمامه بالدراسات اللغوية "وكان لمعلّمه الأول "بكتيه" الأثر البالغ في شدة ولوعه بالدراسات اليونانية والسنسكريتية إضافة للغة الفرنسية والانجليزية والألمانية واللاتينية"[1]، ورغم أن دراسته في مبدئها كانت في الفيزياء والكيمياء لكن اهتمامه المبكر بالدراسات اللغوية حدد وجهته النهائية في اللسانيات، فهذا المفكر السويسري يعد الأب والرائد الأول لعلم اللغة الحديث ويعترف بفضله جميع اللغويين في العصر الحديث وذلك لكونه واضع فكرة المنهج الوصفي في دراسة الظاهرة اللغوية.

2- رحلاته ومؤلفاته.

بعدما تلقّى دي سوسير تعليمه الأوّلي بجنيف غادرها سنة "1876 إلى ليبزيغ في ألمانيا المدينة التي كانت تعتبر المركز العلمي الأكثر إنتاجا وحيوية في أوربا فيما يتعلق بالبحوث اللسانية"[2]، وهناك تلقى دراسته اللغوية في النحو المقارن إلى جانب جماعة من النحاة المحدثين، "وعلى الرغم من أنّه تتلمذ على يد بعض النحاة الجدد كأوسثوف ولسكين إلاّ أنه خالفهم في تصوّرهم العام ورفض نظرتهم الضيقة

---

(1) بن زروق نصر الدين، دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، ط1. الجزائر: 2011م، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ص13/12.

(2) الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص54.

للسانيات[1]، فمكث هناك من 1876 إلى 1878م، يدرس اللسانيات التاريخية والمقارنة، وخلال مدة إقامته هذه بألمانيا أصدر سوسير كتابين: "الأول في سنة 1879 بعنوان: «مذكرة في النظام البدائي للصوائت في اللغات الهندية الأوربية» mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indo-européennes، أما مؤلفه الثاني فيتمثل في الأطروحة التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان: «استعمال المضاف المطلق في اللغة السنسكريتية» والذي صدر بجنيف سنة 1881 de l'emplois du génitif absolu en sanskrit"[2].

وهذان الكتابان حققا له شهرة عالمية وهو لا يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره وقد إستقبل اللغويون الألمان هذين العملين بكثير من النقد وهو ما تأسف له دي سوسير وجعله يغادر ليبزنغ إلى باريس سنة 1880، فمن بين 1880 إلى 1891م أقام بباريس ومارس خلال هذه المرحلة التي دامت 10 سنوات منصب مدير الدراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وفي الوقت نفسه كان يحاضر هناك لمجموع الطلبة في اللسانيات التاريخية والمقارنة.

ففي سنة 1981 عاد إلى جنيف مسقط رأسه ليستقر هناك وإلتحق بجامعتها حيث "أنشىء له منصب كرسي التاريخ المقارن للغات الهندوأوروبية، وظل يشغل هذا الكرسي إلى غاية 1896، حيث توارى عن الأنظار ودخل في عزلة تامة"[3] فانقطع عن التدريس والإنتاج، وذلك لأسباب اجتماعية مر بها كان لها اثر في نفسه.

ولكنه في سنة 1907 قرر العودة إلي التدريس كأستاذ في علم اللغة العام وخلال هذه الفترة قدم بكل دقة آراءه التي لطالما حلم بأن تكون نظرية عامة لتفسير اللغة ودراستها، فقد كتب دي سوسير مجموعة من المقالات حول اللغة جمعت كلها بعد موته بعنوان:"«ديوان المنشورات العلمية لفرديناند دي سوسير» recueil des publication scientifiques de ferdinand saussure والذي صدر بجنيف سنة 1922م".[1]أما مؤلفه الشهير فقد صدر بعد موته بثلاث سنوات أي سنة 1916م

---

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص118

[2] الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص54.

[3] المرجع نفسه، ص:54.

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص119.

بعنوان:"«محاضرات في اللسانيات العامة»cours de linguistique générale ولم يكن لهذا الكتاب ليرى النور لو لم يقم شارل بالي وألبار سيشيهاي بجمع محاضرات دي سوسير التي كان يلقيها على طلبته بجامعة جنيف من سنة 1906 إلى 1911م ثم تصنيفها وتبويبها ونشرها في الشكل الذي نعرفه اليوم"(1). ومما لا شك فيه أن كتاب دي سوسير هذا قد بلغ قيمة علمية كبيرة لا تضاهيها أية قيمة أخرى في اللسانيات الحديثة قبل هذا العصر وخاصة بعد أن ترجم إلى اللغات الأخرى كالروسية، والانجليزية والألمانية، فقد ساعد هذا الكتاب على تحديد مجرى لسانيات القرن العشرين والابتعاد بها كلِيَا عن مناهج اللسانيات التاريخية.

3- وفاته:

توفيّ فرديناند دي سوسير في 22 نوفمبر 1913م، عن عمر ينهاز الستة والخمسين عاما وذلك بسبب سرطان أصابه في حلقه، دون أن ينجز مشروعه الذي كان ينوي القيام به، وهو تسجيل أفكاره وملاحظاته التجديدية الثائرة في اللسانيات.

وهكذا قضى دي سوسير جل حياته في دراسة اللسانيات التاريخية وتدريسها، ولم يدرس اللسانيات الآنية والتنظير اللساني العام اللّذين اشتهر بهما بعد موته إلاّ في السنوات الأخيرة في حياته، ورغم ذلك يعد هذا المفكر السويسري اليوم أب اللسانيات الحديثة فهو مؤسس المنهج الأدنى وأول منظِّر في كل من البنيوية والسّمياء.

II- الثنائيات وأثرها في الفكر اللغوي.

إن التغيرات التي أحدثها دي سوسير في الدراسة اللغوية تبرز بشكل واضح في الثنائيات التي تشكل أساس المنهج الوصفي الذي كان يسعى إلى تطبيقه، وقد تأثر سوسير في دراسته هذه بالنظرية الكلاسيكية القائلة بأن ثمة وجهين مختلفين لكل شيء في هذا الكون كلاهما يكمل الآخر ويحدده، وتحتل هذه المفاهيم الثنائية لسوسير منزلة هامة في الدرس اللساني الحديث، ولأجل منزلتها هذه سنعرض فيما يلي: هذه

(1) أحمد مومن، المرجع نفسه، ص118.

الثنائيات محاولين قدر الإمكان تبسيطها واكتشاف علاقتها التقابلية وتوضيح أبعادها المنهجية.

1- اللّغة والكلام:

يقول دي سوسير"«أن دراسة اللّسان تشمل جزئيين: الأول مهم أساسي هدفه هو اللغة في حد ذاتها، والتي هي ظاهرة اجتماعية في جوهرها ومستقلة عن الفرد وهذه الدراسة نفسية، والجزء الثاني ثانوي هدفه هو دراسة الكلام وهو جزء فيزيائي نفسي»".[1] ويفهم من هذا القول أن سوسير يفرّق بين ثلاثة مصطلحات في الدراسة اللسانية وهي:

أ- **اللّسان:**

يعرف دي سوسير اللسان بأنه:" ذلك النظام التواصلي الذي تمتاز به كل ذات إنسانية وهي تنتمي داخل مجتمع يسير وفق أحكام مضبوطة لها علاقة بالجانب الاجتماعي والحضاري"[2]. فاللسان يدل على نظام عام للغة ويضم كل ما يتعلق بالكلام المباشر وهو بكل بساطة لسان كل قوم ويتكون من ظاهرتين مختلفتين هما اللغة والكلام، وعليه يمكن عدّ اللغة المظهر الاجتماعي للسان، بينما يعدّ الكلام المظهر الفردي له.

ب- **اللغة:**

يعرف سوسير اللغة بأنّها نظام إجتماعي محدّد بقواعد وقوانين مشتركة فهو يصفها بأنها ظاهرة إجتماعية كامنة في أذهان الجماعة ومخزونها الذهني الذي تمتلكه أو هي "تلك الصفة التي تميز الذات الإنسانية القائمة على العملية التواصلية والتي جعلتها هذه الأخير تمتاز بها عن باقي الكائنات الحية"[3]. فقد عرف دي سوسير اللسان (اللغة) فقال:"«اللسان هو رصيد يستودع في الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع واحد بفضل مباشرتهم للكلام وهو نظام نحوي يوجد وجودا

---

(1) Ferdinand de Saussure cours de linguistique england: Édition 1994, p38.

(2) مختار لزعر وحنيفي بن ناصر، اللسانيات النظرية وتعميقها المنهجية، د ط. الجزائر: مارس2009، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، ص45.

(3) مختار لزعر وحنيفي بن ناصر، اللسانيات النظرية وتعميقها المنهجية، ص45.

تقديريا في كل دماغ»"[1]. ومن خلال ما سبق نستنتج بأن اللغة تنتمي إلى المجال الفردي فهي ملكة تميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية وتجعله قادرا على التعامل مع بني جنسه في المجتمع، كما تنتمي أيضا إلى المجال الجماعي فكل الأفراد يملكونها من الناحية البيولوجية في كل زمان ومكان.

ج- الكلام:

وهو التجسيد الفعلي الواقعي للغة ويختلف من شخص لآخر تبعا لاختلاف البيئة، والمستوى الدّراسي والإجتماعي والثقافي والاقتصادي، بمعنى أن الكلام يعد تجسيدا محسوسا للغة، ومن ثمة هو مكان اهتمام الباحث اللغوي ليصل إلى وضع قواعد وقوانين لتلك اللغة، كما أنه "نتاج فردي حر وإرادي يختاره المتحدث من ذلك المخزون ليعبر به عن فكره ورسالته"[2]. فالكلام قائم على إرادة الفرد ومتعلق بذكائه وبقدرته على التعبير عن الأفكار، والكلام عند سوسير يخضع لحركتين آليتين هما: حركة الصوت الفيزيولوجية الفيزيائية، والحركة النفسية (الذهنية) للمتكلم للتعبير عن فكره الشخصي"[3].

أما فيما يخص قضية الفصل بين هذه المفاهيم الثلاثة (اللغة، اللسان، الكلام) فإن دي سوسير وإن كان قد أشار إلى جميع التقبالات التي أمكنته ملاحظتها بين اللسان واللغة والكلام فإنه لم يركز إلا على التقابل الثنائي"اللغة والكلام" باعتباره يعكس الكثير من الأسس والتصورات التي بني عليها منهجه، وفي هذا الشأن يقول سوسير:"«... وبفصل اللسان عن الكلام نفصل في الوقت نفسه ما هو اجتماعي عمّا هو فردي وما هو جوهري عمّا هو إضافي أو عرضي»"[4]. ومنه فاللغة إذّا عمل جماعي موجود في ذهن المتكلمين بكيفية إعتباطية لا شعورية أما الكلام فهو الممارسة الفردية الذاتية لهذه اللغة في ظروف مادية مختلفة. وفيما يخص أهم الفروق المنهجية التي لاحظها دي سوسير بين اللغة والكلام نذكر:

---

(1) شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية، ط1. لبنان: 2004م، أبحاث للترجمة للنشر والتوزيع، ص14.

(2) بوحوش رابح، اللسانيات وتحليل النصوص، ط1. الأردن: 2007، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، ص44.

(3) الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص72.

(4) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ اللسانيات، ط2. الجزائر: 2006، دار القصبة للنشر والتوزيع، ص12.

- "اللغة نظام داخلي، في حين يتميز الكلام بكونه داخلي وخارجي.
- اللغة قواعد تواضعية ذهنية لممارسة ملكة اللسان، أما الكلام فهو تجسيد آلي وفعلي لنظام اللغة.
- اللغة موجودة بالفعل وبالقوة، بينما الكلام فهو موجود بالفعل فقط.
- اللغة نتاج إجتماعي لملكة اللسان بخلاف الكلام الذي يمثل النّتاج الفردي لهذه الملكة (اللسان)، فاللغة تمثل الجانب الاجتماعي في اللسان، أما الكلام فيمثل الجانب الفردي فيه.
- تخضع اللغة لقدرة تنسيقية تواضعية يكتسبها الدماغ من المجتمع، في حين يخضع الكلام لآلية النفسية والفزيائية بحيث تتحكم فيه العوامل النفسية والفيزيائية للفرد سواء بالسلب أو بالإيجاب.
- الكلام سابق عن اللغة أما اللغة، فتأخذ من الكلام.
- اللغة نظام يضبط قواعد الكلام يوجهه، بينما دراسة الكلام تساعد على اكتشاف اللغة وإبانتها.
- اللغة خارجة عن إرادة الفرد فهي مرتبطة بالجماعة، أما الكلام فهو مرتبط بإرادة الفرد ومتعلق بذكائه.
- دراسة اللغة غاية في ذاتها في حين دراسة الكلام وسيلة وطريقة للإفصاح عن تلك اللغة"(1).

ومنه نستنتج أن الفرق بين اللغة والكلام كالفرق بين القاعدة وتطبيق هذه القاعدة فاللغة يمكن أن تدرس وحدها بمعزل في تحققها المادي، لذا يمكننا دراسة السنسكريتية واليونانية واللاتينية بالرغم من أنها لغات ميتة ليس لها تحقق مادي، أما الكلام فتحتاج دراسته للتحقق المادي لهذا اللغة والحقيقة أن سوسير لا ينكر وجود علاقة بين اللغة والكلام، فاللغة تمد الكلام بالقواعد والقوانين التي يجري على ألسنتها تحقيقه المادي الفعلي والكلام ضروري للبناء اللغة وتكوينها وهو وسليتها إلى

(1) الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص72 بتصرف.

التطور والنمو"[1]. ومن هنا وجد سوسير أن اللغة هي التي تستحق الدراسة وهي الموضوع الأساسي لعلم اللغة.

2- الدال والمدلول:

من بين النتائج التي توصل إليها دي سوسير من خلال دراسته للغة باعتبارها ظاهرة مشتركة هي أنّ اللغة تتكون من وحدات أساسية متوافقة بينها تسمى بالعلامات اللسانية أو الرموز اللغوية "وأول ما أثار انتباه دي سوسير في رؤيته للعلامة اللسانية هو ذلك التعريف التقليدي الوارد في كثير من الدراسات اللغوية السابقة والذي مفاده أن حد الكلمة هو ذلك الرابط الذي يجمع بين إسم وشيء"[2]. ويرى سوسير أن هذا التعريف يبدو مستندا إلى تصور يمثل عملية بسيطة جدا وبعيدة في الحقيقة لذلك عمد إلى تقديم تعريف بديل يرى فيه "أن العلامة اللسانية لا تربط شيئا باسم بل مفهوما (تصورا) بصورة سمعية"[3].

ومنه فالعلامة اللسانية هي ذلك الكل المتكامل الصورة السمعية + المفهوم وقد فضل دي سوسير إطلاق مصطلح العلامة اللسانية على هذا الكل المتكامل واستبدل مصطلحي مفهوم وصورة سمعية بمصطلحي دال ومدلول. فسوسير يرى بأن اللغة نظام من العلامات، لذلك فالعلامة اللغوية عنده لها أهمية بالغة في الدرس اللساني فهي تمثل وحدة أساسية في عملية التواصل وتضم جانبين أساسين هما: الدال والمدلول.

أ- الدال:

ويطلق عليه أيضا مصطلح الصورة السمعية (الصوتية) وهي تتمثل في السلسة الصوتية المدركة بالسمع، ويمثل الدال حسب دي سوسير "اختيارا صوتيا تواضع عليه أهل اللغة الواحدة للدلالة على مدلول معين"[4]. ومنه فالدال هو ذلك الصوت أو اللفظ الذي يتفق عليه أصحاب اللغة الواحدة وذلك للتعبير على معنى معين يكون موجود في الذهن مسبقا.

---

(1) عيسى برهومة، مقدمة في اللسانيات، ص151.

(2) الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص77.

(3) المرجع نفسه، ص77.

(4) المرجع نفسه ، ص79.

ب- المدلول:

ويطلق عليه أيضا مصطلح المفهوم أو الصورة المفهومية التي تعبر عن المتصور الذهني، والمدلول عند سوسير" هو مجموع السمات الدلالية التي تحيل إليها الكلمة أو اللفظ"[1]. ومنه نفهم بأن المدلول هو ذلك التصور أو الصورة الذهنية الموجودة في أذهاننا والتي تتجسد لدينا من خلال الدال أو اللفظ الذي نتلفظ به.

خصائص الدليل اللغوي:

الدليل اللغوي هو "ذلك اللفظ الذي يدل على شيء أو معنى معين وركيزته المادية هي الصوت»[2]، فالدليل اللغوي في حقيقته كيان ذهني مكون من الدال وهو الصورة الصوتيه، والمدلول وهو المفهوم الذي يبنه الإنسان من تصوره للشيء ويقول دي سوسير موضحا ما سبق:"«... فالدليل اللغوي إذن كيان نفساني ذو وجهين ويسمى دليلا لغويا المركب من المفهوم والصورة الصوتية(صورة اللفظ في الذهن)... ولكن نقترح لفظة الدال للدلالة على الكل واستبدال لفظتي المفهوم والصورة الصوتية بلفظتي الدال والمدلول»[3]. ففي نظر سوسير الدليل اللغوي لا يربط بين اللفظ ومسماه كما كان سائدا عند أصحاب النظرية الكلاسيكية بل يربط بين المفهوم والصورة الصوتية، فالدليل اللغوي إذا لا يصل بين المدلول عليه ولفظه، ولا بين المدلول عليه والمفهوم، بل انه يربط بين الصورة الذهنية للشيء المادي وما يقابلها من أصوات. "فهذه الصورة الصوتية ليست هي الصوت المادي لأنه شيء فيزيائي محض، بل انطباع هذا الصوت في النفس، والصورة الصادرة عما تشاهده حواسنا"[4]. ومنه فالدليل اللغوي هو الذي يقرن الدال بالمدلول بكيفية اعتباطية، فمن خصائص هذا الدليل اللغوي أنه اعتباطي حيث يرى سوسير بأن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة إعتباطية لأنها غير طبيعية وغير مبررة منطقيا، ويقصد سوسير بذلك أن الدال لا توجد بينه وبين مدلوله علاقة معللة مهما كان نوعها، ويقول دي

---

(1) بن زروق نصر الدين، دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، ص16.
(2) خولة طالب الابراهيمي، مبادىء في اللسانيات، ص20.
(3) المرجع نفسه، ص21.
(4) شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص13.

سوسير في هذا الصدد"«وهكذا فإن معنى لفظ أخت (Soeur) ليس مرتبطا بأية علاقة قد نتخيلها موجودة داخل سلسة أصوات لفظ الأخت S-Ö-R وهي أصوات إتخذت وسيلة كصوت دال، لأنه يمكن أيضا بهذه العلاقة أن تصور بأية سلسلة أخرى من الأصوات تكون دالة وكبرهان على ذلك أن الخصائص المتباينة للألسنة تكون متضاربة فيما بينها وبالأولى وجود ألسنة مختلفة، فمدلول لفظ الثور يكون له داله الصوتي B-Ö -F داخل حدود معينة وله أيضا مدلول أخر هو OCRS = OSKS وراء هذه الحدود»[1]. فلو كان ثمة علاقة مادية أو سببية بين الدال والمدلول لا وجب أن تسمى الأشياء المشتركة في اللغات باسم واحد، فالشجرة بالعربية لا تسمى شجرة بالفرنسية بل تسمى "Arbre" وبالانجليزية "Tree"... الخ مما يؤكد أن الأصوات التي تتعلق منها هذه اللفظة لا صلة لها بالمعنى وهو صورة الشجرة في الذهن حيث أن الاختلاف بين هذه اللغات يكمن في التغير اللفظة وليس في تغير المعنى.

كما أن دليل دي سوسير على الإعتباطية قائم على أن"فكرة أخت لا ترتبط باية علاقة داخلية مع تعاقب الأصوات المشكلة للدال أ.خ.ت فربما جاز تمثيل هذه الفكرة بتعاقب صوتي آخر، وهذا يفرض عدم وجود أية صلة طبيعية بين الدال ومدولوله في اللغة"[2]. فكلمة قوس مثلا إذا غيرنا ترتيب الأصوات مكونة لها فقلنا سوق حصلنا على كلمة جديدة بمعنا جديد أي أن الأصوات: و، ق، س لا علاقة لها من حيث هي أصوات لا بما تدل عليه قوس ولا بما تدل عليه سوق ولا بما تدل عليه وسق، ولا بما تدل عليه قسو، ولا بما تدل عليه وقس. فالمقصود بالإعتباطية عند سوسير هو أنه لا يوجد ارتباط مادي حقيقي بين الدال والمدلول كالارتباط الطبيعي مثلا بين الدخان والنار فليس ثم علاقة سببية تجمع بين الكلمة المنطوقة والمعنى الذي تدل عليه وترمز إليه. "وإنما العلاقة بينهما نشأت بالمصادفة لكنها تطورت مع الاستعمال المتكرر إلى شيء من الإلحاق ودليل ذلك أن الكلمة الواحدة تطلق على

---

(1) فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، تر: عبد القادر قنيني، ط2. المغرب: 2008م، أفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، ص106.

(2) نعمان بوقرة، اللسانيات في اتجاهتها وقضاياها الراهنة، ط1. الجزائر: 2009م، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ص75.

أكثر من شيء"[1].فكلمة العين مثلا في العربية تطلق على عضو البصر لدى الإنسان وعلى نبع الماء والجاسوس والعدو، والحسود...الخ، والى جانب ذلك يمكن تمثيل علاقة الدال بالمدلول بوجهي العملة النقدية الواحدة فإذا مزق الوجه الأمامي للورقة يمزق لزوما الوجه الخلفي لهذه الورقة.

الآنية و الزمانية:

لقد توصل دي سوسير من خلال دراسته للغة إلى أنها نظام قائم بذاته في فترة زمنية محددة، وهو من ناحية أخرى تطوري تاريخي، وقد رأى أنه بناءا على هذا التصور يمكن تمييز منهجين للدراسة اللغوية أو اللسانية، حيث يطلق اللسانيون على الأول إسم المنهج الوصفي، والمنهج البنيوي الذي يهدف إلى تحديد المبادئ الأساسية للنظام المتزامن، في حين يطلق على الثاني إسم المنهج التاريخي، و منه يمكن تحليل بنية اللغة بنوعين من المقاربة.

أ- المقاربة التزامنية:

وهي الدراسة الآنية السكونية "التي تعني بوصف النظام اللغوي بجزئياته بغض النظر عن التحولات التي يمكن أن تطرأ عليه الدراسة الزمنية فنعني بتحول هذه البنية عبر الأزمنة و بالطوارئ التي يمكن أن تطرأ عليها أو على جزء منها والنتائج التي تترتب عن ذلك في الاستعمال اللغوي والبحث عن قوانين التطور اللغوي وعن أسبابه"[2]. فهي بذلك تعالج الموقف اللساني في لحظة بعينها من الزمان أي أنها تعنى بوصف الحالة القائمة للغة ما و تتجلى بذلك في هيئة نظام منسق يعيش في الوعي اللغوي لمجتمع ما، فهو إذن منهج و صفي آني يدرس أية لغة من اللغات على حدى دراسة وصفية في حالة معينة أي في نقطة زمنية معينة ولا تقتصر في الواقع على دراسة اللغات الميتة بشرط أن تتوفر كل المعطيات اللغوية التي تبنى عليها الدراسة العلمية الوصفية.

---

(1) إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، د ط. لندن: 2007م، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ص20.

(2) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص134.

ب- المقاربة التعاقبية:

"تعني الظواهر اللغوية غير المختزنة في الوعي اللساني لهؤلاء المتكلمين أنفسهم وهي التي تحمل بعضها مكان بعض دون أن تتجاوز بالظروف في نظام واحد"[1]. و بعبارة أخرى أنها تتناول بالدراسة التغيرات والتطورات المختلفة التي طرأت على لغة ما عبر فترة من الزمن أو خلال حقب متتالية في الزمن الماضي.

إذن فكلا المنهجين مهم في الدراسة اللغوية وينبغي فقط عدم الخلط بينهما عند البحث فإن لكل منهما مبادئه فالمنهج الآني منهج استقرائي ساكن، أما المنهج الزماني فهو منهج حركي تطوري فسوسير لم يرفض البتة اللسانية الزمانية ولم يعدها شيئا ثانويا أو غير ضروري ولكنه ألح على الفصل بينهما كي لا تدحض النظرة التطورية الوصف الآني.

جـ- الفرق بين الآنية و الزمانية:

يمثل الفصل بين هذين المحورين ضرورة منهجية، ففي المنهج الآني مثلا نقصد بالتماثل الصور المختلفة لإنجاز الوحدة اللغوية الواحدة "مثل: (الظاء في ظلام ونظيف) وهو تماثل يدركه المتكلم في حين نقصد بالتماثل من وجهة نظر زمانية علاقة اتحاد الهوية بين الكلمة أو الصوت وهو صورته القديمة"[2]. وهي علاقة يهتدي إليها الدارس ولا توجد بالضرورة في ذهن المتكلم فالعلاقة إذن بين الآنية والزمانية يمكن أن نسميها تعاقبية والآنية تسبق الزمانية ولكي يوضح دي سوسير الفرق بين هذين المنهجين إرتأ إلى أن:

"الدراسة الزمانية تهتم بتعاقب الأزمنة للكشف عن التطورات التي تلحق اللغة بالمحور العمودي في حين يهمل المنهج الوصفي هذه الجوانب التعاصرية، إذ أنه يركز الباحث الألسني اهتمامه على وصف جوهر اللغة وشكلها، أي أنه يصف نظامها الداخلي لذلك دعا سوسير إلى إخراج التحليل اللساني التاريخي عن الدراسات اللسانية والاهتمام فقط بتتبع الأصول الأول للغات "فالوصف اللغوي وتعميم المعطيات اللغوية لا يصبح ممكنا إلا حين نفصل بين الحالة الآنية والراهنة للغة

---

(1) نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، ص77/76.
(2) نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص93.

وبين نشوء اللغة وتطورها وتحولاتها"[1]. وفي ظل هذا رأى دي سوسير أن اللسانيات الحديثة تجعل البحث الوصفي أو التزامني مقدما على المنهج التاريخي لا إن تقديم احدهما على الآخر لا يعني إلغاء الثاني.

ومن خلال هذا وضح دي سوسير الفرق بينهما بشكل أفضل حيث استعان بمثال دراسة نبات ما فالدراسة الآنية "مثلها مثل الشريحة المقطوعة قطعا عرضيا حيث يلاحظ على شكل المقطع رشما معقدا لا يمثل إلا منظور للألياف الطولانية والدراسة الزمانية يمثلها المقطع الطولاني الذي يظهر لنا الألياف نفسها التي تشكل النبات و لكن قد تتفرع هذه الألياف مرة أخرى و تختفي مرة، أما الدراسة العرضية فتثبت العلاقة القائمة بين الألياف و ترتيبها الخاص على مستوى معين وفي الواقع أن الشريحة العرضية هي التي تمكننا من المعرف الدقيقة للبيئة النباتية في مرحلة خاصة من النمو وذلك بمقارنة مختلفة الأجزاء وعلاقة بعضها وترابطها بينها[2]. ومن جهة أخرى فقد بين دي سوسير هذه العلاقة بإستعمال لعبة الشطرنج كمثال حي حيث يرى بأن ما يهمنا في هذه اللعبة ليس هو كيفية نشأتها أو تاريخها من بلد لأخر وليست تحركات البيادق لأنها لا تغير شيئا من الأمر الواقع بل ما يهمنا فقط هو كيف نقوم بتحريك هذه البيادق وعلاقتها ببعضها البعض وعبيه ولكي تشبه لعبة الشطرنج حركية اللغة ينبغي أن نفترض وجود لاعب لا يعي ولا يفقه من لعبه شيئا بل هو غير ذكي.

ومنه نستخلص أن اللغة لا تتحكم فيها قوانين ثابتة، بل أن هناك قوة تدفع بالوقائع اللغوية في أي اتجاه لتوليد نظاما مغايرا من العلامات و يبدوا أن التغير اللغوي لم يتم دائما بطريقة عفوية بل يسير أحيانا في اتجاه معين حسب قوانين ثابتة، فينبغي على المحلل الساني أن يفرق بدقة بين الظاهرة الآنية الثابتة وبين التعاقبية الحركية في محاولاته الرامية إلى استكشاف النظام و حركيته.

---

(1) شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص10-11.

(2) احمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص126.

فالدراسة الآنية إذن عند دي سوسير لها الأولوية في الإهتمام فهي تمثل المرحلة الأولى الأسبق لذلك فضل دي سوسير الدراسة الآنية واعتبرها هي الدراسة اللسانية الحقة.

4- العلاقات التركيبية والترابطية:

اللغة تتابع من العلامات وكل علامة تضيف شيئا إلى المعنى الكلي وهذه العلامات ترتبط بعضها ببعض بعلاقات يحددها النظام اللغوي "فحين ينظر إلى العلامات في تتابع خطي يطلق على العلاقة إسم العلاقات الخطية أو الأفقية وحين ينظر إلى العلامة الموجودة بوصفها مقابلة لعلامات أخرى في اللغة تسمى العلاقة بينهما اسم العلاقات الجدولية أو الاستبدالية"[1].

أ- العلاقة التركيبية:

"يتمثل هذا النوع من العلاقات الأفقية بين الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة ونفضي كل وحدة معنى إضافيا على الكل، وتكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات اللغوية الأخرى ولا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع الوحدات التي تتبعها أو تليها أو معهما معا, و تسمى هذه الأنساق الخطية تراكيب"[2]. ففي الجملة "صار الطقس باردا" هناك علاقة تركيبية من ثلاث وحدات هي: صار +الطقس+باردا. إما على مستوى المفردات فتتمثل هذه العلاقة في إدماج بعض الصوامت في أنساق تركيبية حسب القوانين الفونولوجية المتعارف عليها في تحصيل مفردات اللغة كهذه المجموعة من الصوامت ل+س+ا+ن+ي+ا+ت التي تعني متحدة (لسانيات) و في هذا الصدد يقول دي سوسير: " تكتسب الكلمات علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية بسبب ترابطها فيما بينها مما يستدعي إمكانية لفظ عنصرين في آن واحد"[3].

---

(1) نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص78بتصرف.

(2) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط1. الجزائر: 2008م، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع ص130.

(3) المرجع نفسه، ص131.

ب- العلاقة الترابطية:

"هي تلك العلاقات التي تتحقق وظيفتها ضمن إدراك الترابط الذهني الحاصل بين العلاقات اللغوية والعلامات التي يمكن أن تحل محلها البعض، مشكلة بذلك مجموعة علاقات مختلفة"[1] فالكلمات التي يمكن أن تتخذ الموقع نفسه تنتظم في عقل متحدث ليختار منها المناسب فضمائر الرفع تنتظم في النظام اللغوي في نسق واحد ويختار منه المتحدث الضمير المناسب في الأداء الكلامي.

فمثلا : في جملة: أصبح الجو صحوا يمكن أن نستبدل كلمة "أصبح" بـــ "صار" وكلمة "الجو" بـــ "مناخ" وكلمة "صحوا" بـــ "هادئا" ومنه نتحصل على الجملة التالية صار الطقس هادئا ، أضحى المناخ رطبا.

فهناك علاقة ترابطية أخرى جاء بها سوسير في قوله: "تكتسب الكلمات التي يجمعها شيء مشترك علاقات من نوع آخر، حين تترابط الذاكرة مشكلة مجموعات تميزها علاقات مختلفة، فكلمة تعليم تستدعي لا شعوريا إلى الذهن مجموعة من الكلمات الأخرى مثل: علم واعلم ..الخ .فان كل كلمة تربطها علاقة معينة من جانب أو من آخر"[2]. بمعنى أن هذه الكلمات يجمعها عنصر مشترك وهو الأصل.

- الفرق بين العلاقات التركيبية والترابطية:

يذهب دي سوسير في سياق التميز بين العلاقتين إلى أن العلاقة التركيبية علاقة حضورية بخلاف الجدولية. "فهي علاقة غيابية تجمع بين الوحدات اللسانية في الذهن لا في التلفظ"[3].

فقد استطاع دي سوسير أن يبن هذا الفارق بين العلامة في حالتها السلبية المنعزلة بينها، وهي وحدة دالة في نظام، حيث تبرز وظيفتهما في أنهما يمثلان الجانب الإجرائي الذي يعمل فيه النظام، ويتحكم عن طريقته في حركية العلامات ويجسد آلية إختلاف والتقابل بينهما والشكل التالي يوضح ذلك.

---

(1) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 131.

(2) نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص79.

(3) الطيب به، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص 89.

"

العلاقة الاستبدالية

المعرفة

الحلم

الجهل

العلم سبيل السيادة

العلاقات التركيبية

"[1]

فمن خلال هذا الشكل يمكن قول ما يلي:

فكلمة العلم تقابل مع كلمات أخرى مثل: التعلم والمعرفة في سياق الترادف ومع كلمات مثل الجهل- الحمق في سياق التضاد، ومع كلمة الحلم في سياق التجانس، وهكذا ومن وحي هذه المقابلة بين كلمة العلم وهذه الكلمات التي تثبتها وتختلف معها في الوقت ذاته، حيث تفقد كلمة العلم قيمتها الدلالية، "والأمر نفسه حين الوقوف عليه مع الكلمتين الأخيرتين في الجملة: العلم سبيل السيادة، ولا يقتصر الإستبدال على مستوى الكلمات فحسب بل أن الحروف كذلك تحضي بنفس الإجراء كما هو ملاحظ في الحرفين (س) في كلمة السلم، و(ح) في كلمة الحلم، فعلامة الرفع في محل كلمة "سبيل" تمتلك دلالتها من تقابلها مع علامات النصب والجر والسكون (سبيل).

أما العلاقات التركيبية في هذا المثال فتمثيلها يبدوا أوضح وأبسط من العلاقات الإستبدالية وذلك أن بين كل حرف وحرف علاقة تركيبية، كما بين "ع" و"ل" في العلم وبين كل كلمة وكلمة علاقة تركيبية"[2].

وفي هذا الصدد يقول دي سوسير:"إن تشكل الكلمات كاف للدلالة عل ذلك فوحدة مثل Desireux (راغب) تنقسم إلى وحدتين فرعيتين(désir-eux)غير أنهما ليستا جزءين مستقلين، بل يضاف احدهما إلى الآخر ببساطة"[3].

(1) الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص90.

(2) المرجع نفسه، ص90.

(3) Ferdinand de saunssur. cour de linguistique .p203.

بمعنى أن قيمة هذين العنصرين ليست إلا في تعاضدهما التركيبي، وينبه دي سوسير في شأن هذا التعاضد إلى شرط هام وهو أن دراسة العلاقات التركيبية لا تكون إلا في جانبها الذي تنتمي فيه إلى اللغة وليس إلى الكلام.

وفي الأخير يمكن القول بأنه:

على الرغم من أنّ بعض الباحثين اللسانيين لم يتقبلوا هذه الثنائيات، إلاّ أنه يبقى لها أثر كبير في الفكر اللغوي المعاصر، حيث إستطاع دي سوسير بمفاهيمه الثنائية السالفة الذكر أن يؤثر في الفكر اللغوي المعاصر "بحيث يمكن وصف الإسهامات التي قدمها علم اللغة الحديث بأنها أبحاث دارت كلها في الغالب حول تفاصيل دقيقة لتلك المفاهيم الثنائية والمعاني الخاصة بها"[1]، كما تأثرت أيضا المدارس اللسانية التي جاءت بعد مدرسة سوسير بهذه الثنائيات أيما تأثر، حيث نجد بأن حلقة براغ مثلا: تأثرت بما جاء به سوسير خاصة في ميدان الفنولوجيا التي تجلت فيه أكثر أثار نظرية دي سوسير البنيوية إلى جانب ذلك تأثرت المدرسة الوظيفية ببعض مبادئ اللساني الشهير فرديناند دي سوسير والتي نذكر منها:

- وظيفة اللغة التبليغية (التواصل).
- تحديد اللغة بوصفها نظاما وظيفيا.
- دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها.

أمّا المدرسة التوزيعية (كوبن هاغن) فنجد أنها لامست أفكار دي سوسير في التحليل حيث أكملت عمله في تحليل الأصوات، ومما لاشك فيه أنها تعد جزءا من اللسانيات البنيوية فهي تسعى سعيها وتنتهج منهجها وتعمل بمبادئها الرئيسية مثل المفهوم الصوري للغة ومبدأ دراسة العلاقات قبل الوحدات، وسلوك منهج الوصف والتصنيف لغرض نمذجة اللغة، وإتباع المنهج العلمي الموضوعي... وغيرها.

---

[1] عيسى برهومة، مقدمة في اللسانيات، ص148.